سؤال المنهج في ترجمة المقدس نحو مقاربة لترجمة معاني القرآن الكريم

The Methods of Scripture Translations

-Toward a Theory of Translating the Meanings of the Quran

د. رحمة بوسحابة*

تاريخ الاستلام: 03 / 06/ 2022 تاريخ القبــول: 31 / 05/ 2022

ملخّص: تناقش هذه الورقة الأطر النّظريّة لترجمات الكتاب المقدس، وبالتّحديد التّكافؤ الوظيفي، والملاءمة والتّكافؤ الأدبي–الوظيفي والوساطة بين الثقافات، وهي مقاربات تأخذ في معظمها السّياق والمتلقي بعين الاعتبار بشكل أساسي، وبالتّالي كان تركيزها على عنصر 'التّأثير' محوريّا، والذي تحقّق بالفعل من خلال الانتشار السّريع لترجمة الكتاب المقدس في جميع أنحاء العالم.

ويقودنا ذلك إلى طرح سؤال أساسي في هذا الإطار حول ترجمة معاني القرآن، وإلى أي مدى يمكن أن تحقق نفس الأثر، وإلى أي مدى يمكن تطبيق هذه النّظريات الغربيّة في هذا النّوع من التّرجمة؟. هذا ما حاولت الورقة مقاربته من خلال تدارس مسار ترجمة الكتاب المقدّس، ومقارنته بمسار ترجمة معاني القرآن الكريم، وتحديد إمكانيّة الإفادة منه من أجل تحقيق نفس التّأثير.

كلمات مفتاحيّة: ترجمة المقدس– نظريات ترجمة المقدّس– ترجمة معاني القرآن الكريم–المنهج– التّأثير.

Abstract: The present paper argues for the theoretical frames of the Scripture Translations, namely the functional equivalence, relevance, literary-functional equivalence and intercultural mediation, that most of them consider the context and the recipient as main factors in the translation process, therefore their focus on “the influence” was pivotal, as it has already been achieved through the rapid spread of the translation of the Bible all over the world. This leads us to put forward a fundamental question about translating the meanings of the Qur’an, and to what extent it can achieve the same effect, and to what extent can these western theories be applied to translating the meanings of the Qur’an.

Within this framework, the article deals with the study of the process of translating the Bible and comparing it with the process of translating the meanings of the Qur’an, identifying the differences between them, and the possibility of benefiting from it in order to achieve the same effect.

Keywords: Scripture translations; theories of scripture translations; translating the meanings of the Qur’an; methods; influence.

قدّمة:ارتبطت التّرجمة ودراساتها والأفكار والخطابات حولها بالبعد الدّيني في الثقافة الغربيّة، سواء في ما تعلّق بمسألة منشأ التّرجمة الذي يعزى إلى الأسطورة المعروفة، وهي قصّة بابل في التّوراة، أو في ما تعلّق بترجمة الكتاب المقدّس الذي يعدّ أكثر الكتب ترجمة في التّاريخ، ومن هذا الزخم تولدّت نظريات ترجميّة تبحث في ترجمة

*أستاذة محاضرة أ، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، الجزائر rahma.boushaba@univ-mascara.dz (المؤلف المرسل)

المقدّس على رأسها التّكافؤ الوظيفي، ونظريّة الملاءمة، والتّكافؤ الأدبي الوظيفي، والوساطة بين الثقافات وغيرها وهو ما ستحاول هذه الورقة عرضه مع التّركيز على منهج كل منها في التّعامل مع النّص المقدّس المسيحي وترجمته.

وستكون الغايّة النّهائيّة للبحث هي محاولة تحديد مدى إمكانيّة استثمار هذه المقاربات في ترجمة معاني القرآن الكريم، خاصّة وأنّ التّجربة الإسلاميّة في هذا الإطار لازالتّ محتشمة، بل وشبه غائبة في المجال العربي والإسلامي عموما، من حيث مسائل البحث في المناهج والأطر النّظريّة لهذا النّوع من التّرجمة، وذلك نتيجة ظروف تاريخيّة وأخرى فقهيّة، وهو الأمر الذي أصبح ضرورة باعتبار أن التّرجمة في هذا الإطار ممارسة خطابيّة تتولّى مهمّة نقل معتقدات وأفكار إلى متلقّي آخر، مع ما تقدّمه نظريّاتها من آليّات تسهم في ضبط عمليّة النّقل هذه، وتزويد المترجم بمختلف الاستراتيجيات والآليّات للاشتغال على المتن وترجمته إلى اللغات الأخرى.

وللتعامل مع هذه الإشكاليّة لابدّ من التّعريج بشكل حتمي في هذا الإطار على التّجربة الغربيّة في ترجمة المقدّس، وتمحيصها وأخذ ما يتوافق منها مع خصوصيّة القرآن الكريم –مع حفظ الفروق بين التّجربتين– ونبذ ما يتنافى معها، ثمّ تحديد الإطار العام لاستثمار مختلف المقاربات التّرجميّة في ترجمة معاني القرآن الكريم، وصولا إلى تقعيد نظري يتجاوز مجال الفقه، ليثير أسئلة لسانيّة وثقافيّة وحضاريّة تتعلّق باستجابة المتلقّي والتّأثير فيه.

1. الجذور الدّينيّة للترجمة في الفكر الغربي: ترتبط التّرجمة في الثقافة الغربيّة بالدّين ارتباطا عضويا، وذلك ضمن ثلاثة محاور رئيسيّة يتعلّق الأوّل منها بقصّة بابل في التّوراة، والثاني بترجمة الكتاب المقدّس، أما الثالث فهو ارتباط الجهود التّنظيريّة بها في هذا المجال:

1–1– قصّة بابل في التّوراة: وهي حادثة تبلبل الالسّنة(**سفر التّكوين 11: 1–9**)، والتّي تعدّ أسطورة لأصل التّرجمة، فبعد عقاب الرّب للشعب الذي هاجر إلى أرض شنار (shinar)، بعد ببناء مدينة وبرج تصل قمّته إلى السّماء عليها، فشوشّ الله السّنتهم حتى أصبح لا يفهم أحدهم الآخر، ومن هنا كانت ظاهرة الاختلاف التّي تتطلّب الحاجة للتّواصل بغرض التّفاهم، وهنا يبرز المترجم باعتباره الشّخص الوحيد القادر على معالجة هذه المسألة، وقد تعمّق بعض المفكّرين في استلهام المعاني من هذه القصة اللاهوتيّة، فاعتبر بعض الرّومنسيين من أمثال هردر، وهامبرت، وجوتة، والبعد الرّومنسيين من أمثال بنجامين، وهيدجر، وجورج ستاينر أنّ التّرجمة عمليّة مثاليّة[1]، (بايكر، 2010، صفحة 31).

وفي هذا الإطار تبنّى أنطوان بارمان Antoine Berman فكرة قداسة النّصوص الأصليّة، تماما كما هو الأمر بالنّسبة للنصوص الدّينيّة، كما تناول جاك دريدا Jack Derrida الذي Hأولى اهتماما خاصّا بالأصل اللاهوتي للترجمة، من خلال تأمّلاته في قصّة بابل، منطلقا من البحث في مدلولات اللفظ نفسه "بابل" التّي تتكوّن من 'با' التّي تعني الأب و"بيل" التّي تعني الإله ، فيكون المعنى الكُلّي هو "الأب الإله"، وهو بذلك يحاول ربط هذه الفكرة المسيحيّة بالتّوراة حتى لا تستفرد هذه الأخيرة بفكرة أصل التّرجمة، ويرى طه عبد الرّحمن أن "دريدا" عمّم الفكرة بقوله بعدم وجود بنيّة نواة (kernel) أو بُنيّة باطنيّة (deep)، أو أيّ عامل ثابت يصلُح لأن يكون أساسا للمقارنة، وهو ما جعل دريدا، ومعه أعلام التّفكيكيّة، يُشكّكون في إمكانيّة التّرجمة نفسها[2]، رغم إقرارِهم بأنّ التّرجمة هي قضيّة الفلسفة الأولى.

1- 2- ترجمة **الكتاب المقدّس:** هو كتاب المسيحيين المقدّس، ويتكوّن من مجموعة كتب تسمى بالأسفار تسعة وثلاثون الأولى منها مشتركة بين اليهود والمسيحيين، يطلق عليها اليهود اسم "التّناخ" أما المسيحيون فيسمونها العهد القديم، وأضافوا إليها سبعًا وعشرين كتابًا آخر تشكّل "العهد الجديد"، ويتكوّن التّناخ أو العهد القديم من مجموعة أقسام وفروع أولها التّوراة التّي تؤلف أسفار موسى الخمسة، ثم الأسفار التّاريخيّة وكتب الأنبياء والحكمة، في حين أن العهد الجديد يقسم بدوره إلى الأناجيل القانونيّة الأربعة والرّسائل وسفر الأعمال والرّؤيا.

واللغات الأصليّة للنصوص التّوراتيّة هي العبريّة والآراميّة بالنّسبة لـ"العهد الأول"، واليونانيّة ل"العهد الثاني، ومنها تُرجمت إلى أغلب لغات الأرض، إذ تدين المسيحيّة في جوهرها للترجمة في انتشارها في إطار مقولة أساسيّة في التّبشير المسيحي تنصّ على أن "التّرجمات تتوسّط بشكل مستمر في خلاص المسيح يسوع من ثقافة إلى أخرى[3]" (Jean-ClaudeLOBA-MKOLE, 2008, p. 253)، وهو ما يعني بشكل خاص توسيعا لمعاني التّجسُّد والقيامة لدى شعوب وثقافات متنوعة.

ويعود تاريخ ترجمات الكتاب المقدس في التّقاليد اليهوديّة والمسيحيّة إلى القرن الخامس قبل الميلاد وهي العمليّة التّي مازالتّ مستمرة إلى اليوم. ويقسم هذا التّاريخ إلى ثلاث فترات أساسيّة بحسب تصنيف موسوعة روتلدج للترجمة، وهي على التّوالي[4]: (بايكر، 2010، صفحة 34).

أ- **الفترة الإغريقيّة الرّومانيّة: Greco- Roman (700 ق م إلى 200 ق م):** التّرجمة الأولى فيها هي نسخة التّرجمة السّبعينيّة اليونانيّة للتوراة العبريّة أو العهد القديم interpretatio Septuaginta Seniorum[5] ، وتمّت عن اللغة العبريّة والبعض الآخر كُتب أصلا باليونانيّة، وسُميت بالسّبعينيّة لكون من قام بها سبعون(أو يزيد) شيخا يهوديا في مدينة الإسكندريّة في أيام الملك بطليموس الثاني فيلادلوفس (285-247 ق م) ، وقد تمّت في اثنين وسبعين يوما بحسب الرّوايات، وكان لها أثر عظيم على مسائل الشّريعة من جهة، ومبادئ التّرجمة والمصطلحات التّي استخدمت في الكتب المقدّسة لاحقا.

وفي هذه المرحلة أيضا، تمّت ترجمة بعض من التّرجمات الأولى لكتب العهد الجديد إلى اللغة اللاتينيّة ويعدُّ عمل القديس جيروم S Jérôme أهمّها على الإطلاق، فهو من تولّى إعادة ترجمة الكتاب المقدس من اللغة العبريّة إلى اللاتينيّة فيما سمّي بـ Vulgate ، في حين كانت التّرجمات الشّائعة آنذاك هي تلك التّي تمّت عن التّرجمة السّبعينيّة، والتّي اتّسمت بالرّكاكة والحرفيّة كما وصفها جيروم، منحازا بذلك إلى ترجمة المعنى باعتباره أولويّة بحسب منظوره. وقد اكتسبت التّرجمة Vulgate تدريجيًا مكانة محوريّة بين غالبيّة مسيحيي العصور القديمة بعد أن تم تبنيها من قبل العديد من الكتاب في القرن الخامس، لينتشر استخدامها على نطاق واسع في القرن السّادس. وبحلول القرن التّاسع عُمّمت في الكنيسة الغربيّة بأكملها، واعترف بها مجلس ترينت (1546) رسميًا وأصبحت الكتاب المقدس الرّسمي للكنيسة الرّومانيّة الكاثوليكيّة.

ب-**فترة الإصلاح الدّيني:** في هذه الفترة تمّت ترجمة التّوراة تقريبا إلى كل اللغات الأوروبيّة، وأهمّها على الإطلاق ترجمة مارتن لوثر (1483-1546) Martin Luther إلى الألمانيّة، التّي أرفقها بكتابه "مبادئ التّرجمة" الذي يدافع

فيه عن رؤيته حول التّكافؤ في ترجمة الكتب المقدّسة ومبادئه التّي تبنّاها في إنجاز هذه التّرجمة وهي التّرجمة الحرّة. إضافة إلى الإسهامات القيمة التّي قدمها "وليام تانديل"(1494–1536) William Tyndal في هذا الإطار، والذي تُعتبر ترجمته للعهد الجديد القاعدة الأساسيّة للتطوير التّالي لنسخة الملك جيمس المجازة البالغة الأهميّة في تاريخ التّبشير المسيحي .

ت–**الفترة الحديثة:** وتنقسم بدورها إلى مرحلتين أساسيتين، تتعلق الأولى بإنتاج التّنقيحات والتّرجمات الجديدة إلى العديد من اللغات الأوروبيّة، بناء على الاكتشافات والآراء الجديدة التّي جاء بها علم الآثار ودراسة مخطوطات التّوراة، ومن أبرز ما تمَّ في هذه المرحلة النّسخة الانكليزيّة المنقحة 1885م، والنّسخة الأمريكيّة القياسيّة وغيرها أمَّا المرحلة الثانيّة فتتعلق بقيام المبشرين بترجمات عديدة إلى لغات العالم الثالث في إطار ما سُمّي ببعثات الإيمان.

ولم يتوقّف التّأثير الدّيني على التّرجمة ودراساتها في مجرّد الارتباط التّاريخي بالبعد الدّيني، بل تجاوزه إلى مدّها بالمنهج والرّؤيّة الفكريّة الكامنة خلفه، إذ أنّ أغلب المقاربات في التّرجمة تعتمد على ترجمة الكتب المقدّسة في شرعنة منهجها، في انتصارها للنص الأصل متمثّلا في التّرجمة الحرفيّة أو للنّص الهدف متمثّلا في التّرجمة التّحويليّة، وما بينها من اختلافات عميقة تصل حد الخلاف الذي أفضى إلى التّكفير في بعض الأحيان.

1–3– **ارتباط نظريات التّرجمة بترجمة الكتاب المقدّس:** تعد ترجمة الكتاب المقدّس النّواة التّي انبثقت عنها أغلب البذور النّظريّة للترجمة، وقد أصبح القرن العشرون – خلافا للقرن التّاسع عشر الذي كان فيه انتشار الكتاب المقدس من الأولويات– هو قرن "علم ترجمة الكتاب المقدس" "the "science of Bible translation وذلك نتيجة للعوامل التّاليّة[6] (Allgemeine Diskussion، 2018):

- ✓ ارتباط بعض التّخصصات العلميّة بترجمة الكتاب المقدس (مثل اللسانيات)، وهو ما أدّى إلى مراجعة التّرجمات بجميع أنواعها؛
- ✓ التّركيز على عنصر التّلقّي، بالتّركيز على الجماعات المستهدفة target groupsالمؤهلة للحصول على مساعدات التّنميّة المسيحيّة؛
- ✓ التّسهيلات الإرساليّة الموجهة، والتّي طورت استراتيجيات ونماذج للوصول إلى هؤلاء من خلال التّعاليم المسيحيّة السّياقيّة، إذ أصبحت لغة وثقافة وسياق هذه المجموعات المستهدفة محور البحث؛
- ✓ تطوير منصب عامل التّنميّة المسيحي The Christian development worker من مترجم إلى مدرب أو مدير مشاريع (مثل المشاريع الموجهة نحو اللغة)؛
- ✓ إعادة اكتشاف وتطوير نماذج الاتصال في مجالات تقنيّة المعلومات والتّخصصات العلميّة الأخرى، وهي علم اللغة (العصبي) والعلوم الاجتماعيّة وعلوم الاتصال والتّرجمة التّي تطورت بفضل ترجمة الكتاب المقدس بسبب مظهرها العالمي والتّطبيقات الاجتماعيّة المرتبطة بها؛
- ✓ الهيمنة الغربيّة فسحت المجال لتزايد الوجود الشّرقي في سياق مساعدات التّنميّة المسيحيّة.

وقد ثبت أن الفرع الأكاديمي لترجمة الكتاب المقدس هوأداة فعّالة لخدمة المسعى الرّسولي في الفترة الحديثة والمعاصرة، لأنه يخاطب المجموعات المستهدفة التّي كانت إلى بدايات القرن العشرين خارج نطاق تركيز مساعدات التّنميّة المسيحيّة، ومن هنا كان لترجمة الكتاب المقدس دور هام في تحقيق الهدف المسيحي المتمثّل في "الوصول إلى جميع شعوب العالم" "reach all the peoples of the world"(متى 28: 19-20)

وفي هذا الإطار ظهرت استراتيجيات ومقاربات متنوّعة لتحقيق هذا الهدف، ورؤى جديدة وموسّعة في الاتصال والتّرجمة للمساعدة في ترجمة الكتاب المقدس، والتّي بنيت بشكل مركزي على الجمهور المستهدف وضرورة فهمه للكتاب المقدّس.

2- **نظريات ترجمة الكتاب المقدس:** انبثقت العديد من نظريات التّرجمة في هذا الإطار منها المقاربات الحرفيّة، والوظيفيّة، والوصفيّة، والنّصيّة-اللغويّة، والملاءمة، والتّفسيريّة، والمقارنة بين الثّقافات وغيرها لكن يمكن بشكل عام تصنيفها ضمن نوعين رئيسيين، يتجه الأوّل نحو النّص الأصل والآخر نحو النّص الهدف:

2-1- **النّظريّات المتجهة نحو الأصل (الحرفيّة):** إنّ مسألة الحرفيّة وحريّة المترجم في إعادة إنتاج النّص التّوراتي هي القضيّة السّوسيولسانيّة الأكثر إثارة للجدل في ترجمة الكتاب المقدّس، إذ يرى أنصار التّرجمة الحرفيّة أنها الأقرب للأصل-التّرجمة، التّي أضفوا عليها صفة القداسة، بينما هاجم التّيار الآخر التّرجمة الحرفيّة نظرا لصعوبة إنجازها، وغموضها، وعسر فهمها، ذلك أن حضور الكم الهائل من التّراث في النّص التّوراتي يخنق إبداع المترجم ويعرقل فهم القارئ[7] (بايكر، 2010، صفحة 39)، ومن هذه الصعوبات والعراقيل عُدت التّرجمة الحرفيّة للكتاب المقدّسة بعيدة عن مرامي وجوهر المسيحيّة، لتتجه الغالبيّة العظمى من المقاربات والرّؤى نحو المتلقي والنّص الهدف.

2-2**النّظريات المتجهة نحو الهدف (التّحويليّة):** وهي عديدة ومتنوّعة، ومن أهمّها:

أ- **نظريّات التّكافؤ الوظيفي:** وترتبط ارتباطا وثيقا بيوجين نايداEugene Nida الذي قدّم نقدا لاذعا لترجمات الكتاب المقدّس السّابقة، خاصّة تلك التّي تمت في القرن 19م، واتّسمت بالحرفيّة الشّديدة. ويقدّم بناء عليه مفهومه "التّكافؤ الدّيناميكي" الذي ينصّ على أن التّرجمة تتكون من إعادة إنتاج أقرب مكافئ طبيعي في لغة المتلقي من حيث المعنى والأسلوب لرسالة اللغة المصدر، فهو يهدف إلى إيصال رسالة وفيّة للرسالة الأصليّة على أن تكون واضحة وطبيعيّة في لغة المتلقي، ويتم ذلك عبر التّحليل وإعادة هيكلة النّص المصدر، مع التّركيز على عنصر التّأثير على المتلقي. ويتم تطبيق ذلك على أربع مراحل بحسبه هي[8] :(Jean-ClaudeLOBA-MKOLE, 2008)

- المرحلة الأولى تشير إلى ترجمة نص من قبل مترجم واحد من فريق المترجمين؛
- تُمثّل المرحلة الثانيّة تصحيح النّص من قِبل الفريق؛
- المرحلة الثالثة تتمّ فيها إعادة صياغة النّص من قبل الفريق (مراجع، مصمم، فاحص مخطوطة؛
- مستشار ترجمة، لجنة ترجمة، إلخ) والعمل بملاحظات خارجيّة؛

- المرحلة الرّابعة والأخيرة هي ناتج إعادة القراءة النّهائيّة للنص المترجم، والموافقة عليها من قبل الفريق قبل الشّروع في الإنتاج.

وتتّسم رؤيّة نايدا بارتباطها بمشروعه التّبشيري الذي يقوم على ضرورة نشر كلمة الله التّي ينبغي أن تكون في متناول الجميع، ومن هنا كان تركيزه على مسألة استجابة المتلقّي والتّأثير فيه، ذلك أنّ العلاقة في التّرجمة بالنّسبة إليه هي بين المُتلقّي والرّب (God)، وأن نجاح التّرجمة يعتمد بشكل كبير تحقيق التّأثير المطلوب في المتلقي، بنفس درجة تحقق التّأثير نفسه في المتلقّي الأصلي. ويمكن للمترجم في حالة لم تتحقّق الاستجابة المطلوبة اللجوء إلى إجراء تعديلات وتغييرات في النّص [9] (غينتسلر، صفحة 136) ، ويعطي نايدا مثالا في هذا الإطار بترجمة العبارة: « the queen of the south » Luke 11:31 "ملكة الجنوب" من إنجيل لوقا، والتّي يقصد بها ملكة اليمن(التّيمن)، أي بلقيس، ويرى أن ترجمتها حرفيا قد يؤدّي إلى تضليل القارئ، الذي لا يمكنه إدراك معنى ملكة الجنوب في سياقها، ويضرب مثلا بسكان تاراسكان Tarascan(بالمكسيك) الذين يتعرّفون على الكتاب المقدّس لأوّل مرّة، وهنا يقترح استخدام تقنيّة الإضافة بالجملة التّوضيحيّة : Woman who was ruling in the south country' حتى يمكنه ادراك المعنى المقصود[10].(Nida & Eugene, Toward a science of translating, p. 229)

وقد سيطر التّكافؤ الوظيفي على مجال ترجمات الكتاب المقدس لنحو نصف قرن على الرّغم من أنه لم يتم تطبيق منهجه بالكامل في العديد من التّرجمات التّي تبنته، ومع ذلك هناك تجارب عديدة حققت مستوى عاليا من التّكافؤ الوظيفي خاصّة في لغات العالم الثالث، نظرا لتركيزه على الجوانب المعرفيّة للتواصل.

ب-**نظريّة الملاءمة:** وهي نظريّة تداوليّة معرفيّة، تُركّز بدورها على السّياق في فهم الظواهر البنيويّة للملفوظات. ويرتبط نجاح العمليّة التّرجميّة استنادا إلى هذه النّظريّة بمدى قدرة المترجم على تحقيق التّماثل التّأويلي بين النّص الأصل والنّص المترجم، وذلك بتركيزه على نقل الافتراضات التّي يراها ملائمة ومناسبة للقارئ الهدف، وبالتّالي تحقيق الأثر السّياقي المطلوب، وهو ما يقلل الجهد المبذول في تحليل النّص الهدف[11] . وفي هذا الإطار يلعب سياق الاتصال دورًا رئيسيًا في مساعدة الجمهور على إنشاء بيئة معرفيّة متبادلة مع المؤلف، أي العناصر الظرفيّة والنّصيّة والنّصيّة المشتركة، وقد تمّ تطبيق هذه الطريقة لتفسير بعض مقاطع الكتاب المقدس مثل صيغة الاقتباس في "متى 2"، أو الاقتباسات والتّكرار في سفر الرّؤيا لكن مع ذلك يبقى النّقد موجها لهذه النّظريّة من حيث اختزالها للعناصر النّصيّة، ولطابعها النّظري الطاغي بالنّسبة للمترجم [12] (Jean-ClaudeLOBA-MKOLE, 2008).

ت-نظريّة التّكافؤ الأدبي-الوظيفي: يشكل التّكافؤ الأدبي-الوظيفي تطورًا جديدًا للتكافؤ الوظيفي، بتركيزه بشكل كبير على السّمات الأدبيّة، وبالنّظر إلى كون الكتاب المقدس كتابا أدبيا، فإن هذه النّظريّة تؤكد على أن ترجمته تحتاج إلى أن تعكس السّمات الأدبيّة للنصوص المصدر، وتلك الخاصة بالجمهور المستهدف في نفس الوقت. ويشمل الوعي بالسّمات الأدبيّة تحديد وحدة وتنوع النّص التّوراتي من خلال دراسة عنصري الانسجام والتّناص وغيرهما.

ث-**نظريّة الوساطة بين الثقافات:** نشأت هذه النّظريّة بناء على نقد مفاهيم التّكافؤ الذي ظلّ يربط العمليّة التّرجميّة -بحسب أصحابها-ببعدين فحسب هما اللغة والثقافة (الهدف والمصدر) مع التّغاضي عن البعد الثالث المتمثّل في التّقاليد والتّي يقصد بها الثقافة التّقليديّة للمتلقي، وبذلك فإن مقاربة التّرجمة باعتبارها وساطة بين الثقافات هي محاولة لإعادة صياغة التّرجمة كعمليّة ثلاثيّة الأبعاد تتضمن بعض تمثيلات الثقافة الأصليّة، وتلك الخاصة بتقاليدها، وأخيرا التّقاليد الخاصة بالثقافة الهدف الحاليّة، وتشمل نظريّة الوساطة بين الثقافات بذلك ثلاث قيم أساسيّة الإخلاص للثقافة الأصليّة ، والولاء للثقافة الحاليّة، واحترام التّقاليد.

وبشكل عام يمكن القول أنّ أغلب المقاربات التّرجميّة المعاصرة تعتد بالسّياق وبالمتلقي، لأهداف متعدّدة يعتبر التّبشير أبرزها ولهذا كان تركيزها على عنصر التّأثير محوريّا، وهو ما تحقّق بالفعل من خلال انتشار ترجمة الكتاب المقدّس في كلّ أنحاء العالم وأغلب لغاته بشكل سريع، وهو ما يدفعنا إلى طرح سؤال جوهري في هذا الإطار حول ترجمة معاني القرآن الكريم، وإلى أي مدى يمكنها تحقيق التّأثير نفسه، وإلى أي مدى يمكن تطبيق هذه النّظريّات الغربيّة على ترجمة معاني القرآن الكريم؟

3- **ترجمة معاني القرآن الكريم:** نزل القرآن الكريم باللغة العربيّة، ولكن بأهداف تتجاوز حدود هذه اللغة وامتدادها الحضاري، ليتوجه بالرّسالة المحمديّة إلى البشريّة جمعاء، وهو ما يعني ضرورة إبلاغها إلى جميع اللغات عبر التّرجمة، وهو الأمر الذي لم يباشره المسلمون بشكل ممنهج لقرون طويلة، فاسحين المجال لغير المسلمين بالقيام بتلك المهمّة، مع ما اعترى ترجماتهم من قصور وصل إلى حد التّحريف الممنهج أحيانا.

ويعود عزوف المسلمين عن ذلك إلى مسالة التّحريم والإجازة لترجمة القرآن الكريم في الفكر الإسلامي وصعوبة التّعامل مع النّص القرآني المعجز نفسه، وهي المسألة التّي حسمها الأزهر الشّريف عام 1936 بإصداره فتوى يجيز فيها ترجمة معاني القرآن وليس النّص القرآني نفسه. ومنذ ذلك الوقت بدأت الجهود في ترجمته تتمّ وفقا لهذه الصيغة، فاتحة الباب أمام طرح أسئلة جديدة، تتعلّق بمساءلة المناهج التّي اعتمدها المترجمون بمختلف عقائدهم وتوجهاتهم في نقل هذه المعاني إلى اللغات الأخرى.

3-1 مناهج ترجمة معاني القران الكريم: من الثابت أن اغلب الجهود النّظريّة في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم لم تتبلور بعد من أجل تشكيل رؤيّة متكاملة، تمكنّنا من طرح نظريّة تهتمّ بتحديد المنهج والشّروط اللازمة لإنتاج ترجمة جيّدة على غرار التّجربة الغربيّة في هذا الإطار، سوى بعض الجهود الفرديّة هنا وهناك، أو تلك المبثوثة في التّراث الإسلامي، ليس بشكل مستقل بل باعتبارها مباحث ضمن مواضيع وسياقات أخرى مثل إسهامات الشّاطبي، وابن قتيبة، وابن حجر العسقلاني، والزمخشري من المتقدمين، والزرقاني، وطه عبد الرّحمن وغيرهما من المتأخرين.

والواقع أن مقارنة معمّقة بين مساري التّرجمة ومنطلقاتهما في التّجربتين المسيحيّة والإسلاميّة تقودنا إلى الجزم بالاختلاف المفصلي بين المسارين لسببين رئيسيين، الأوّل لكون الكتاب المقدّس المسيحي أصله ترجمة وليس أصلا كما ورد آنفا، والتّعامل مع التّرجمة يطرح دوما عدة إشكاليات تتعلّق بمدى الفقد والخسارة مقارنة مع

النّص الأصلي، مهما حاول رجال الدّين إضفاء القداسة على ترجمة ومترجمي الكتاب المقدّس، مقارنة مع النّص القرآني الذي ظلّ ويظلّ النّص الأصلي المحفوظ، والذي حُرّمت ترجمة حرفه لهذا السّبب. والأمر الآخر يتعلّق بخصائص هذا النّص نفسه التّي تتسّم بالإعجاز على عدة مستويات وهو الأمر الذي اعترف به حتى غير المسلمين الذين اشتغلوا عليه لأغراض متعددّة، وهو ما جعل أغلب الجهود–على عكس ترجمة الكتاب المقدس تتّجه نحو الأصل، فكانت البحوث بغرض التّرجمة تتمّ بغرض التّعرّف على معانيه، واستكشاف خصائصه الإعجازيّة على كافة المستويات، من البعد الصوتي إلى لتداولي وغيرها، مع تناول محدود للغايّة لمسألة مراعاة سياقات المتلقين.

وبناء على ذلك فان الدّارس لأغلب ترجمات معاني القرآن الكريم المعتمدة سيلتمس بُعدها التّفسيري المستند إلى ضوابط صارمة في التّرجمة، تتناسب مع قدسيّة معاني النّص القرآني، وهي المسألة التّي تناولها المفكر المغربي طه عبد الرّحمن بالدّرس والتّحليل، وسكّ لها مصطلحا هو:' 'ترجمة القول الثقيل"، الذي استلهمه من وصف الله عز وجل للقرآن الكريم بالقول الثقيل: **"إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا "المزمل: 5** لعظمة معانيه وأوصافه[13] (الرحمن، سؤال العمل ، 2012، صفحة 208).

وينطلق طه عبد الرّحمن بدايّة من استحالة الإحاطة بكل ألفاظ ومعاني القول الثقيل، وأن كل ترجمة في هذا الإطار هي قول خفيف، **ويطرح** مفهومه للترجمة التّأصيليّة لمعاني القرآن الكريم بقوله أنّ " التّأصيل لا يعني رد القول الثقيل إلى القول الخفيف كما فعل بعضهم، وإنما يعني إقامة الذات في القول الثقيل" (الرحمن، سؤال العمل ، 2012، صفحة 208) ، وهو يقصد هنا أن "يتشبع المترجم بالقدرة على قراءة القول الثقيل وقد رشحت بالإيمان وتأيّدت بالرّوح" (الرحمن، سؤال العمل ، 2012، صفحة 208)[14] ، وما يعنيه ذلك من عدم تطاول ولا اغترار ولا تبديل ولا تحريف. ويرى طه عبد الرّحمن أنّ التّرجمة التّأصيليّة للقول الثقيل لا تتوجّه إلى المتلقي، مع مراعاة خصوصياته التّداوليّة، وإنما"على العكس من ذلك، أن يُنقل المتلقّى إليه باعتبار إن مجال تحقق الذات هو هذا القول الأصلي"، (الرحمن، سؤال العمل ، 2012، صفحة 207)[15] وطه عبد الرّحمن بهذا يؤكّد على ضرورة التّقيّد بالتّرجمة الحرفيّة للمعاني بمعناها المصطلحي في دراسات التّرجمة (translation studies).

والواقع أن هذا هو التّوجّه الغالب لدى كل من تناولوا المسألة متقدّمين ومحدثين، أي أن ترجمة معاني القرآن الكريم لابد أن تتعامل بدايّة مع المنطق الأصلي للنص القرآني، عند تقاطع المبنى والمعنى، ومحاولة إنتاج ترجمة لغويّة خالصة للقول الثقيل، دون تحويل أو تصرّف من إضافة أو حذف أو تبديل لأي معنى من محتوى النّص القرآنى الأصلي قدر الإمكان، بل ترجمة تكون قريبة قدر الإمكان من بنى الأصل المعجميّة والنّحويّة والدّلاليّة ، مع شرح الألفاظ الصّعبة، وتقديم المناسبات السّياقيّة للآيات القرآنيّة ليس في نص التّرجمة، بل فى شروحات هامشيّة منفصلة في إطار ما يسمّى بالنّصوص الموازيّة ، لأجل الحفاظ على خصوصيّة النّص الأصلي.

وقد حاول المسلمون بشكل خاص تمثّل هذه الرّؤيّة في انجاز ترجماتهم، ومن أهمّها ترجمة عبد الحليم محمود أستاذ الدّراسات الإسلاميّة في مدرسة الدّراسات الشّرقيّة والإفريقيّة بجامعة لندن في الفترة المعاصرة، والتّي تعدّ من أحسن التّرجمات العصريّة لمعاني القرآن الكريم.

2-3 منهجيّة ترجمة معاني القرآن الكريم عند عبد الحليم محمود: تفرّغ الأستاذ عبد الحليم محمود لترجمة عصريّة للقرآن الكريم لمدة تفوق السّبع سنوات، والتّي كُرّم على إثرها من قبل ملكة انكلترا التّي منحته رتبة الإمبراطوريّة البريطانيّة عام 2008 ، تقديراً لخدماته للثقافة العربيّة والأدب والتّفاهم بين الأديان.

وتقع هذه التّرجمة التّي صدرت عن مطبعة جامعة أكسفورد في 464 صفحة من القطع المتوسط، قدّم فيها ترجمة في شكل نصوص متوازيّة يظهر فيها النّص العربي أمام التّرجمة في الصفحة نفسها. وقد كتبها بأسلوب حديث وميسّر، متجنبا قدر الإمكان اللغة الانكليزيّة القديمة، كما ضمّن ترجمته عددا من المقدمات حول حياة الرّسول محمد (صلى الله عليه وسلم) والسّياق التّاريخي لبعثته، ونزول الوحي، وجمع القرآن، وبنيته وخصائصه الأسلوبيّة، وقضايا التّفسير وتاريخ موجز للترجمات الإنكليزيّة له، مع إضافة قائمة ببلوجرافيّة للاستزادة حول موضوعات المقدمة[16](Abdelhalim, 2005, p. X.xxx) . ويشير الدّكتور عبد الحليم إلى أن عمله بالتّرجمة أثبت له أن الفهم اللغوي الصحيح هو المفتاح الأول لاكتشاف عظمة القرآن، واكتشاف معانيه الصحيحة، وأكد له على عظمة القرآن، وكيف أنه صيغ صياغة عجيبة تفهم منها كل يوم أشياء جديدة لم تلمحها من قبل.

وقد حرص المترجم –مع اعترافه بصعوبة ترجمة النّص القرآني– على عدد من الخصائص المهمة التّي يؤدي إهمالها إلى الارتباك أو إساءة التّعبير عن المعنى المقصود، أو إلى ترجمة لا تخاطب إلا الأكاديميين، ومن أهمّها (لخلافة، 2013)[17]:

- ✓ البناء على خاصيّة تفسير القرآن لبعضه البعض؛
- ✓ أخذ الدّور المحوري للسياق في الفهم بعين الاعتبار؛
- ✓ مراعاة الوجوه المختلفة للتعبيرات القرآنيّة؛
- ✓ تجنب الالتّزام الحرفي بالبنى والاصطلاحات العربيّة عندما يؤدي إلى إنجليزيّة خاليّة من المعنى؛
- ✓ مراعاة ظاهرة تغير الضمائر في سياق الآيّة الواحدة من القرآن؛
- ✓ مراعاة المعاني اللغويّة للكلمة القرآنيّة وقت نزول الوحي وليس المعاني التّي صارت متعارفا عليها بعد ذلك؛
- ✓ استخدام مقدمات موجزة وهوامش مرشدة للسور أي ما قلَّ ودل.

وفي هذا الإطار قدّم عبد الحليم محمود بعض التّرجمات التّي خالفت الكثير من التّرجمات السّائدة، ففي ترجمته للآيّة 228 من سورة البقرة:

قرآن الكريم : " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ"

"If anyone seeks a religion other than [***islam***] complete devotion to God, it will not be accepted from him: he will be one of the losers in
the Hereafter."

نلاحظ أنه قابل لفظ "الإسلام" بـ " [***islam***] واضعا إياها بين قوسين معقوفين وبحروف مائلة حتى يحافظ على اللفظ الأصلي من جهة، وأن لا تعتبر التّرجمة النّهائيّة من جهة أخرى، وقدّم في المقابل وفي متن

الآيّة العبارة: "complete devotion to God" بمعنى الخضوع الكامل لله ، وهو بذلك يستند في فهم لفظ'الإسلام' إلى معناه اللغوي الذي يعني التّسليم والاخلاص الكامل لله دون أن نشرك به أحدا.

ويبرِر ترجمته بكون القرآن قد وصف جميع الأنبياء السّابقين بأنهم مسلمون، وعليه فإن فهم لفظ الإسلام هنا بمعنى الدّين سيقيم حاجزا بينهم وبين النّبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبين الإسلام وبقيّة الأديان السّماويّة، ويعزّز المترجم اختياره هذا بأن القرآن الكريم نفسه، وفي مواضع كثيرة، يحدد بوضوح علاقته بالكتب المقدسة السّابقة مثل قوله تعالى: "**نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنجِيلَ**" **–آل عمران 3 –** كما يناشد القرآن الكريم أهل هذه الدّيانات البحث عن المشترك بينها في قوله تعالى: "**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُون.[عمران 64**، وهو بذلك يستند إلى خاصيّة تفسير القرآن بعضها بعضا.

قرآن الكريم: وفي ترجمته للآيّة:"**وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**"– **الآيّة 228، سورة البقرة**

"and husbands have a degree [of right] over them: [both should remember that] God is almighty and wise".

ترجم لفظ 'الرّجال' ب husbands وليس men، ويشير في هذا المقام إلى أنّ الآيّة فُسّرت بشكل واسع من طرف المسلمين وغير المسلمين على أنها انتقاص من مكانة المرأة مقارنة بالرّجل، مع أن الإحالة هنا ليست على الرّجل والمرأة بل على الأزواج والزوجات كما ورد في سياق النّص القرآني، والسّياق هنا هو الطلاق بين الأزواج والزوجات (Abdelhalim، 2005).

وهكذا قدم عبد الحليم ترجمته للمعاني وفق هذا المنهج الذي يعتد بالسّياق والمعنى اللغوي الأصليّين في المقام الأوّل، إضافة إلى الاعتماد على النّص القرآني نفسه في تفسير بعضه البعض، مع محاولته الحفاظ قدر الإمكان على المعاني الأصليّة، وأهدافه في ذلك واضحة هي التّوجّه نحو المتلقي الغربي، ومحاولة تقديم الإسلام بصورة حضاريّة عكس تلك السّائدة خصوصا في القضايا الإشكاليّة مثل العلاقة مع الآخر وحقوق المرأة وغيرها. وتبقى في النّهايّة محاولته رائدة في مجاله، رغم أن مسألة تفسيره تظلّ محلّ دراسة وبحث لأنه لم يشر لأي مدونة تفسير اشتغل عليها.

خاتمة: في الأخير يمكن القول إن التّجربة الإنسانيّة في ترجمة المقدّس بكل أنواعها هي تجربة متميّزة ومساراتها شائكة على امتداد التّاريخ، إذ تلفّها الكثير من الخصوصيّة والأشكلة لكونها نصوصًا تتجاوز البعد البشري إن على مستوى الشّكل أو المضمون، وكلّ المقاربات والرّؤى حولها هي محاولات نسبيّة، تتراوح ما بين إجازة أو منع النّقل الحرفي أو المعنوي، على غرار أي عمليّة ترجميّة، سوى أن الإجازة والمنع هنا يكتسيان طابعا دينيا من التّحليل والتّحريم. لكن الثابت في المسألة أنه رغم الجدل والأشكلة فإن جهود التّرجمة في هذا المجال لم تتوقّف، بل ازدادت وتيرتها بشكل كبير مع التّطوّرات الحاصلة في مجالات العلوم اللغويّة والاجتماعيّة والتّقنيّة

وأدوات الاتصال، فكانت المقاربات التّرجميّة في خدمة ترجمة المقدّس وتبليغ كلمته إلى مختلف الشّعوب بمختلف لغاتها. ولا شكّ أن كثافة ومدى تقدّم هذا الزخم يختلف ما بين ترجمة الكتاب المقدّس المسيحي ونظيره الإسلامي الذي لازال يخطو خطوات محتشمة في مجال تبليغ الإسلام، لغير النّاطقين بالعربيّة لأسباب عدّة تتعلّق ببنيّة العقل العربي الإسلامي الذي لازال يتعامل بحرص مع مشروعيّة ترجمة القرآن الكريم ومعانيه من جهة، ونتيجة بنيّة النّص القرآني نفسه المعجزة على عدة مستويات من جهة أخرى، وهو ما يجعل ترجمته وفق المقاربات التّرجميّة المعاصرة عمليّة مركّبة باعتبار أن أغلبها تنحو إلى التّحويل من إضافات وحذف وغيرها من التّقنيّات، هدفها في ذلك واضح هو التّأثير في المتلقّي وحمله على اعتناق المسيحيّة في المقام الأوّل، أكثر من الاهتمام بالنّصوص الأصليّة التّي هي نفسها ترجمة بعد ضياع النّسخة الأصليّة في غياهب التّاريخ.

وقد بدأت في الآونة الأخيرة جهود متميّزة لبعض المسلمين الذي باشروا عمليّة ترجمة لمعاني القرآن الكريم مع إفادة من التّطوّرات الحاصلة في مجال التّرجميّات، بالاعتداد بالثقافات المتلقيّة وسياقاتها دون المساس بجوهر المعاني الأصليّة لمعاني القرآن الكريم، ومحاولة إنتاج ترجمة لغويّة خالصة ، دون تحويل من إضافة أو حذف أو تبديل قدر الإمكان، بل ترجمة تكون قريبة من بنى الأصل المعجميّة والنّحويّة والدّلاليّة، مع شرح الألفاظ الصّعبة وتقديم المناسبات السّياقيّة للآيات القرآنيّة ليس في نص التّرجمة، بل فى شروحات هامشيّة منفصلة ، لأجل الحفاظ على خصوصيّة النّص الأصلي.

قائمة المراجع

1-اللغة العربيّة

- دوين غينتسلر. *في نظريّة التّرجمة، اتجاهات معاصرة* (الإصدار الطّبعة الأولى 2009). (د. سعد عبد العزيز مصلوح المترجمون) المنظمة العربيّة للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربيّة بيروت لبنان.
- طه عبد الرّحمن ،*سؤال العمل* .المركز الثقافي العربي، بيروت والدّار البيضاء . 2012.
- طه عبد الرّحمن، *الفلسفة والتّرجمة* .المركز الثقافي العربي، المغرب لبنان. 1996
- منى بايكروآخرون، *موسوعة روتلدج لدراسات التّرجمة، الجزء الأول، 2010م* .(الحميدان (.,النّشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود.

- قويدر يوسف. (2018). التّماثل التّاويلي بين النّص الأصل والنّص الهدف في ضوء نظريّة الملاءمة. (جامعة مولاي طاهر، سعيدة،) *مجلة الاشعاع ، المجلد الخامس* (العدد 2).
- عبدلاوي لخلافة، د محمد عبد الحليم: ترجمة القرآن ليست قرآنا، وقفيّة الأمير غازي للفكر القرآني، نوفمبر 2013م، تحرير https://www.quranicthought.com/wp-content/uploads/post_attachments/5fe22f66311e5.pdf

2- اللغة الأجنبيّة

- Mahmoud, Abdelhamid. (2005). *The Quran / a new translation 2005*. The United States, New York: Oxford University Press Inc.

- Nida, E. (1964). *Toward a science of translating, , .* Netherlands: Leiden E J rill .
- Jean-ClaudeLOBA-MKOLE. (2008). History and theory of Scripture translations. *Herv. teol. stud. , vol.64,* (n.1).
- Allgemeine Diskussion. (2018, 8 30). Translation Theory and the Science of Bible translation - An Overview: https://forschungsstiftung.net/en/node/99.

الهوامش:

[1] ينظر: منى بيكر وآخرون، موسوعة روتلدج لدراسات الترجمة، الجزء الأول، ترجمة عبد الله بن حمد الحميدان، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية،2010م، ص 31

[2]– ينظر: طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة، الجزء الأوّل 1 الفلسفة والترجمة، المركز الثّقافي العربي، المغرب، لبنان، طبعة سنة 1996. ص من 123 إلى 126.

[3] Check :**Jean-ClaudeLOBA-MKOLE**, Jean-Claude. History and theory of Scripture translations. *Herv. teol. stud.* [online]. 2008, vol.64, n.1 , p 253

[4]– ينظر منى بيكر وآخرون، م س، ص 34

[6] **Check:** Allgemeine Diskussion, Translation Theory and the Science of Bible translation - An Overview, Submitted by redakteur on Thu, 08/30/2018 - 10:41, https://forschungsstiftung.net/en/node/99.

[7] ينظر: منى بيكر وآخرون، م س ، ص 39

[8] Check :Jean-ClaudeLOBA-MKOLE, OP Cit.

[9]– ينظر : دوين غينتسلر، دوين غينتسلر، ترجمة د. سعد عبد العزيز مصلوح " في نظريَّة الترجمة، اتجاهات معاصرة، الطَّبعة الأولى 2009، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان، ص 136 إلى 149 .

[10] - Check : Eugene Nida, Toward a science of translating, Leiden E J rill 1964, Netherlands, p 229.

[11]– قويدر يوسف ، التماثل التاويلي بين النص الأصل والنص الهدف في ضوء نظرية الملاءمة، مجلة الاشعاع، المجلد 5، العدد 2ديسمبر 2018، جامعة مولاي طاهر سعيدة، ص 125

[12] Check : Jean-ClaudeLOBA-MKOLE, OP Cit.

[13]– طه عبد الرحمن سؤال العمل، بحث عن الأصول العمليّة في الفكر والعلم، الطبعة الأولى، 2012، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء ص 208

[14]– م ن، ص ن.

[15]– م ن، ص 207.

[16] Check ; M. A. S. Abdel Haleem ,The Quran / a new translation by., published in the United States by Oxford University Press Inc., New York 2005 (p x to xxix)

[17] ينظر. د محمد عبد الحليم: ترجمة القرآن ليست قرآنا، وقفية الأمير غازي للفكر القرآني، نوفمبر 2013م، تحرير عبدلاوي لخلافة، https://www.quranicthought.com/wp-content/uploads/post_attachments/5fe22f66311e5.pdf